الجبر والقدر

وأثرهما في السلوك العملي

منتزع من كتاب (الرسالة القاضبة لأعناق القدرية الكاذبة)

للفقيه العلامة

حميد بن أحمد المحلي

المتوفى سنة ٦٥٢هـ

جمال الشامي

١٤٣٨هـ

النسخة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

المقدمة

الحمد لله الذي ﴿**لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[يونس:٤٤]، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد:

لما كنت اتصفح كتاب (الرسالة القاضبة لأعناق القدرية الكاذبة) للشهيد المحلي وجدت فيه نصوصاً عن أثر الجبر والقدر – اللذان هما نتيجة للجهل بالله تعالى – على السلوك العملي وكنت قد نشرت قبل فترة رسالة صغيرة بعنوان (الجهل بالله تعالى وأثره في السلوك العملي للمتدين) فرأيت إكمالاً للموضوع والفائدة انتزاع ما يتعلق بالموضوع المنشور سابقاً من كتاب الشهيد المحلي، وتوجد الرسالة مخطوطة في مكتبة فينا النمساوية عنها صورة في مكتبة (vHMML) وعليها الاعتماد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

١٤ ذي الحجة ١٤٣٨هـ،/ ٥ / ٩ / ٢٠١٧م.

التعريف بالمؤلف[1]

نسبه ونشأته:

هو حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن يعيش المحلي الوادعي الصنعاني الهمداني، أحد كبار العلماء والرؤساء في اليمن.

نشأ في بيئة علمية وأخذ عن أكابر علماء عصره - كالإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة -، وعنه الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين - وكان من وزراءه وكتابه - وغيره من الأعلام، وكانت له جهود علمية وجهادية عظيمة فقد «كان - رحمه الله - وحيداً في عصره، فريداً في دهره، شحاكاً للملحدين، وغيظاً للجاحدين، وسيفاً صارماً لا ينبو في الذب عن الدين، أنفق عمره في العلم والعمل والرد على المخالفين».

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور ج٢ص٢٤٥، أعلام المؤلفين الزيدية ص٤٠٧.

تراثه الفكري:

خلف تراثاً فكرياً جليلاً منه: الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، ومحاسن الأنظار في فضائل إمام الأبرار، والعقد الفريد، والوسيط المفيد الجامع بين الإيضاح والعقد الفريد، وعمدة المسترشدين في أصول الدين، والحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار، والثعبان النفاث بهلاك أهل المسائل الثلاث، والرسالة القاضبة لأعناق القدرية الكاذبة، ونصيحة الولاة الهادية إلى سبل النجاة، والرسالة الكاشفة عن لوازم الإمامة لطالب الأمن يوم القيامة، ومناهج الأنظار العاصمة من الأخطار.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والمعرفي في يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ٦٥٢هـ، وقبره في قرية الرحبة من محافظة عمران اليمن.

نموذج من المخطوط

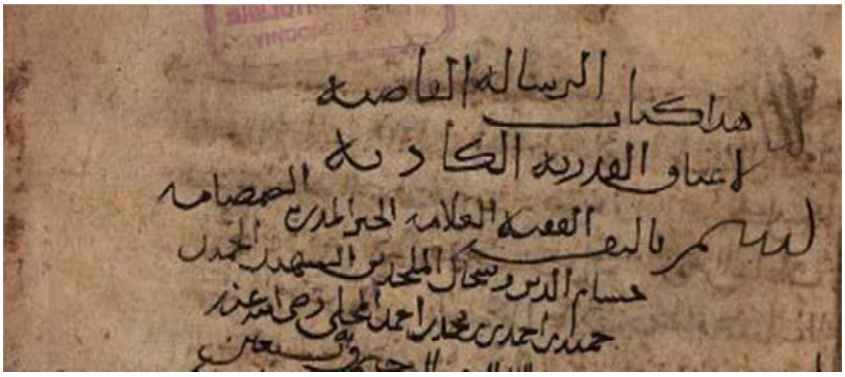
هذا كتاب الرسالة العاصمة
لاعتقاد القدرية الكاذبة
تصنيف العلامة الحبر المدرس المصقع
حسام الدين وسحاب المكارم السيد محمد
حمد بن احمد بن محمد احمد المحلي رضي الله عنه

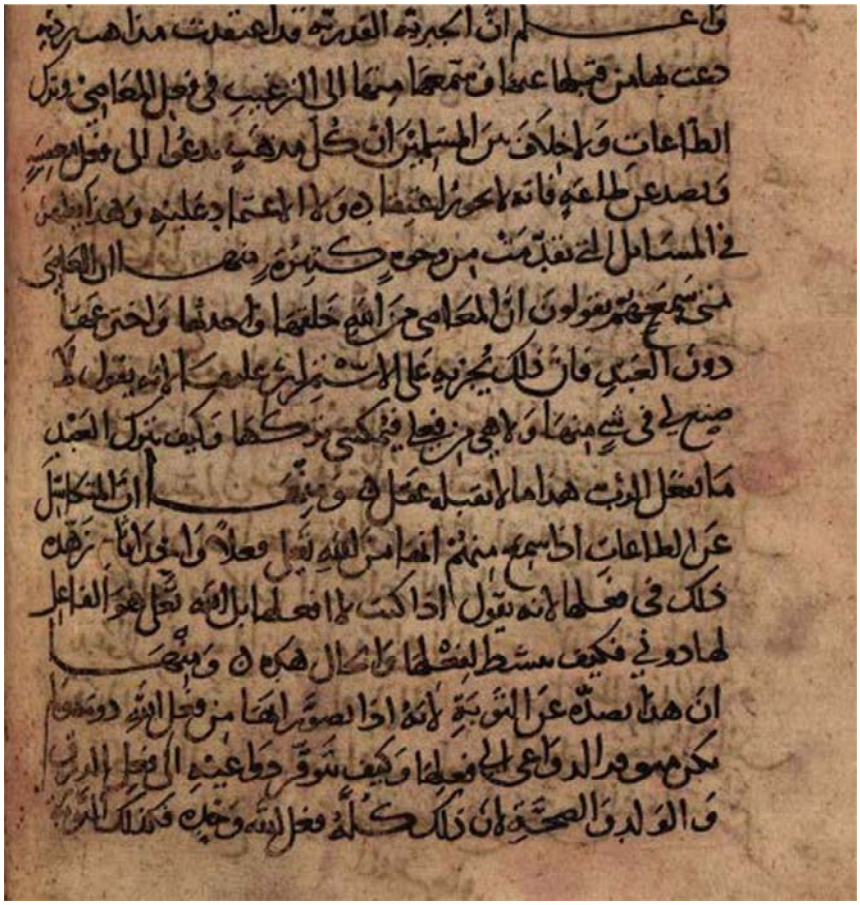
واعلم ان الجبرية القدرية قد اعتقدت مذاهب رديئة
دعت بعضها منها عما وقعا منها الى الترغيب في فعل المعاصي وترك
الطاعات والاخلاق من المسلمين ان كل مذهب مدعو الى فعل معصية
وصد عن طاعة فانه لا يحل اعتقاده ولا الاعتماد عليه وهذا يظهر
في المسائل التي تقدمت من وجوه كثيرة منها ان العاصي
متى سمعهم يقولون ان المعاصي من الله خلقها واحدثها واخترعها
دون العبد فان ذلك يحرزه على الاستمرار عليها لانه يقول لا
صنع لي في شيء منها ولا هي من فعلي فيمكني تركها فكيف يتوب العبد
ما يفعل الرب هذا ما لا يقبله عقل ومنها ان المتكاسل
عن الطاعات اذا سمع منهم انها من الله يقول فعلا واحدا ان زهد
ذلك في فعلها لانه يقول اذا كنت لا افعلها بل الله تعالى هو الفاعل
لها دوني فكيف استطيع فعلها ولا حال هكذا ومنها
ان هذا يصده عن التوبة لانه اذا تصور انها من فعل الله دون
كسبه وقدره الداعي الى فعلها وكيف يتوقع ويطمع الى فعل الله
في العود الى الصحة ان ذلك كله فعل الله وخلقه فكذلك

النص المنتزع من الرسالة

... واعلم أن المجبرة القدرية قد اعتقدت مذاهب ردية دعت بها من قبلها عنها وسمعها منها إلى الترغيب في فعل المعاصي وترك الطاعات، ولا خلاف بين المسلمين أن كل مذهب يدعوا إلى فعل معصية ويصد عن طاعة فإنه لا يجوز اعتقاده ولا الاعتماد عليه وهذا يظهر في المسائل التي تقدمت من وجوه كثيرة منها:

- أن العاصي متى سمعهم يقولون أن المعاصي من الله خلقها وأحدثها وأخترعها دون العبد، فإن ذلك يجرئه على الاستمرار عليها؛ لأنه يقول: لا صنع لي في شيء منها ولا هي من فعلي فيمكنني تركها وكيف يترك العبد ما فعل الرب! هذا ما لا يقبله عقل.

- ومنها: أن المتكاسل عن الطاعات إذا سمع منهم أنها من الله تعالى فعلاً واحداثاً، زهده ذلك في فعلها؛ لأنه يقول: إذا كنت لا أفعلها بل الله تعالى هو الفاعل لها دوني فكيف ينشط لفعلها ولا يخال هذه.

- ومنها: أن هذا يصده عن التوبة لأنه إذا تصور أنها من فعل الله دونه ولم يكن متوفر الدواعي إلى فعلها وكيف تتوفر دواعيه إلى فعل

الرزق والولد والصحة؛ لأن ذلك كله فعل الله وحده فكذلك التوبة على فعل هؤلاء الجبرية.

- ومنها: أن الذي يسمع منهم القول من [أن] القبائح من الله تعالى إذا صرفهم فيها عرف أنه لا عقاب عليها؛ لأنه قد تقرر في عقله أنه لا يحسن من الحكيم أن يعاقب على ما فعله في العبد وهذا يحثه على فعلها لأنه يعلم أنه لا يحسن في حكمته تعالى أن يعذب العبد على ما لم يفعل لا سيما مع قوله تعالى:﴿**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ**﴾[العنكبوت:٤٠] ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[فصلت:٣٦].

- ومنها: أن عندهم أن الله تعالى يريد القبائح الواقعة من الزنا والقتل عدواناً وأخذ مال اليتيم والكفر والفرقة، ومن علم من حال سيده ومولاه أنه يريد فعلاً فإن ذلك يدعوه إلى فعله متى كان مطواعاً لسيده وهذا فإنا نعلم باضطرار أن العبد المحمود في الشاهد يبادر إلى ما أراده سيده، فإذا علم أنه يريد منه فعلاً سارع إليه وإن لم يأمره به فإذا كان الله تعالى يريد المعاصي كان العبد مذعوناً له في فعلها مدعواً إلى تحصيلها؛ لأنه قد علم على مذهبهم إرادة سيده رب العالمين لها.

- ومنها: أن الإنسان إذا علم ذلك منهم واعتقده حثه هذا على إرادة القبائح من الظلم والكذب والكفر والإلحاد وسائر أنواع الفساد؛ لأنه يعلم أنه يجب عليه أن يريد ويرضى ويحب على ما أراده الله تعالى فرضيه وأحبه؛ لأن الإجماع قد انعقد على وجوب الرضى بما يرضى به تعالى وفعله في دار التكليف بالمكلفين وغيرهم ولا شبهة أنه يقبح من كل عاقل إرادة القبائح وأنه يذم على إرادته لها وهذا يقتضي أن ما حث على الإرادة يكون خطأ وضلالاً.

- ومنها: أن هذا يقتضي أن يكون منا مأموراً بأن يرضى بإغواء الشياطين ودعاتهم إلى الكفر والضلال؛ لأن ذلك كله فعل الله تعالى وحده دون الشيطان، ولا شبهة في وجوب الرضى بما قضى به الله تعالى وفعله وقدره وإن لم يكن يفعل ذلك فقد خرج من الدين عند جميع المسلمين، وكل قول قاد إلى وجوب الرضى بالضلالة والغواية ومفارقة سبل الهداية فإنه باطل لا يحمل على المعاصي.

- ومنها: أنهم باعتقادهم أن الفساق يدخلون الجنة ويخلدون فيها فقد حثهم على فعل المعاصي متى قبلوا ذلك منهم أو جوزوا صدقهم

فيه مع أن نفوسهم تتوق إلى المعاصي فإذا تصور أنه لا ضرر عليهم في فعل معصية ولا ترك فريضة دعاهم ذلك إلى مواقعة المحرمات وشرب القهوات ورفض الفرائض المكتوبات من الصلوات والزكوات، وكل ما يجري جري على فعل المعاصي كان ضلالاً يجب رفضه ويلزم تجنبه بخلاف اعتقاد من يقول بدوام العقاب على مرتكب الكبائر فإن ذلك يحثهم على الطاعات ويزجرهم عن المحرمات، وكل ما زجر عن القبيح كان حسناً وصواباً عند ذوي الألباب، ولو رأينا رجلين أحدهما يحث على الظلم والثاني يزجر عنه فإن الأول يكون مذموماً والثاني ممدوحاً عند كل عاقل.

- ومنها: أنهم باعتقادهم أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للفساق قد قوى خواطرهم على الفسق؛ لأنهم يتصوروا صحة ما قالوه من [أنها] لهم وإن فسقوا يخرجون من النار ويدخلون الجنة بشفاعة النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يقتضي الحث العظيم على المعاصي؛ لأن المكلف يكون قد علم أنه لا عقاب عليها مع شهوته لها واحتياجه إلى فعلها، وإذا تأمل العاقل هذه الوجوه التي

ذكرناها على أن مذهب الجبرية والقدرية يحث المكلف على فعل المعاصي فيكون خطأ ولا يجوز الاعتماد عليه ولا الرجوع لمن يخاف الله إليه ...

الفهرس

المقدمة ١

التعريف بالمؤلف ٢

النص المنتزع من الرسالة ٥

الجراءة على الاستمرار على المعاصي ٦

التكاسل عن الطاعات ٦

الصد عن التوبة ٦

الحث على فعل القبائح ٧

إرادة القبائح وتحصيلها ٨

الرضى بإغواء الشياطين ٨

الحث على فعل المعاصي ٨

الفهرس ١١